تمكن على الاقل من جعل علاقاته وانتماءاته متوترة ، والى حد ما متنافرة ، فانه يكون قد تمكن من خلال تنمية الظاهرة الابتعادية عند الشعب الفلسطيني ، من تقليص كل الانتماءات القومية عند الجماهير العربية . ان قضية الشعب الفلسطيني ، تبقى بسبب طبيعة الغزوة الصهيونية لفلسطين وبسبب الصمود الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية في نصف القرن الماضي ، هي القضية المحورية القومية في الوجدان الجماهيري .

حركة المقاومة العربية

لذلك فان المؤسسات الثابتة المنتمية قوميا والحائلة دون انسياب الافكار الاقليمية والانفصالية ، والمحصنة للجماهير الفلسطينية بشكل خاص والعربية بشكل عام ، وخاصة حيث يكون هناك تواجد فلسطيني مكثف ، تؤدي الى الحيلولة دون نمو الظواهر الابتعادية وتؤدي الى تقوية وتعميق تلقائية العلاقة وعفوية الانتماء القومي وطبيعيته . اذا تأمنت سلامة المناخ القومي ، عطلت المحاولات الساعية الى تفكيك العلاقات القومية العضوية ، عندئذ تصبح المقاومة في حالة علاقة دائمة مع الجماهير ، وعندئذ فان هذه العلاقة هي التي تحدد دور ونوعية الحلقات الوسيطة . ان الحلقات الوسيطة أي الاحزاب والقوى السياسية المنظمة هي ، في أي توجه أساسي ، قوى وتنظيمات مرحلية، واذا صدقت في شعاراتها فانها لا تتصور نفسها اكثر من انها تعبير عن ضرورات مرحلية ، لكن الاحزاب العربية بشتى تشكيلاتها ، اثبتت عجزا في التعبئة الجماهيرية الشاملة . ورغم اننا لسنا في صدد تقييم هذه الاحزاب ، الا من خلال كونها جسورا للعلاقة بين المقاومة واحتمالات المشاركة الجماهيرية العربية ، فانه لا بد لنا من ان نحدد ان المطلوب ، اذا اجيز لنا الاختصار الاستنسابي ، اننا بحاجة الى ما يشابه حزب المقاومة العربية . مما لا شك فيه ان فئات كثيرة من العاملين داخل هذه الاحزاب والقوى يشكلون نواة مثل هذه الحركة ، الا أن الاحزاب لا تحاكم بنواياها او ببرامجها، انما بسلوكها وممارساتها ، وان تجربة العرب المريرة خلال السنوات التي عقبت قيام اسرائيل ، كلها تشير الى فجوة عميقة او الى هوة عميقة بين البرنامج المعلن والممارسة على ارض الواقع . واذا نحن قفزنا الى اعلان نتيجة ، وهذا غبن قد الحقه بالبعض ، الا ان هذه الهوة ، هي التي مكنت ، تمحور القيادة السياسية في زعامات فردية ملهمة ، وهو الذي مكن قيادة عبد الناصر ، من خلال مواقف حادة، حاسمة ، واضحة ، مبسطة ، ان تستقطب الجماهير التي كانت مصالحها الوطنية والطبقية متوجهة تلقائيا نحو المؤسسات والاحزاب التي عجزت أن تكتسب ثقة الجماهير على فترات زمنية طويلة . ثم ان قيادة عبد الناصر في هذا المضمار ، عودت الجماهير ان تكون مشدودة الى القيادة ، دون ان تكون مرتبطة بمؤسسات . لكن عبد الناصر لم يتمكن من ان يصدق بأن الاحزاب التي تعامل معها ، هي احزاب بالمعنى الذي طرحت نفسها به ، اذ انها اجازت للانقلابية العسكرية ، أن تتسلق الثورات وان تجهضها . لذلك فان فئة عسكرية ، تختبيء وراء شكلية التنظيم الحزبي ، لا تضفي على هذا الحزب شرعية الوجود الحزبي . كما ان الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، رغم ما اسهمت به من حيث عملية الايقاظ الجماهيري ، والتوعية وتوجيه هذه النضالات في عدة مراحل ، وما اعطته ، بالمشاركة مع حزب البعث وحركة القوميين العرب ، للجماهير من قدرة على عدم الانزلاق في مهاوي التفكير اليميني التبسيطي ، الا ان الاحزاب الشيوعية ، باستثناءات فردية او فئوية ، لم تظهر او تثبت قدرتها على الاجتهاد النظري والحزبي الذي يعجز عن الابداعية النظرية يعني انه عاجز عن الالتصاق الحميمي بالجماهير . فالاحزاب الشيوعية في المنطقة العربية ، لم تتمكن من ابراز فهم ثوري واضح لبعض المميزات والخصائص الملازمة للتحرك الثوري العربي ، مثلما تمكنت الاحزاب الشيوعية في الصين والفيتنام وايطاليا والى حد ما بشكل مختلف يوغوسلافيا وفي شيلي وكوبا .